التحديث في مجالات الثقافة، التمثيل الدبلوماسي، القضاء، والامن والدفاع في المملكة العربية السعودية

(1926–1953)

(الثقافة ، القضاء، الجيش)

ا.د.صبري فالح الحمدي

sabrifalih@yahoo.com

كلية التربية/ قسم التاريخ

الجامعة المستنصرية

Modernization in Fields of Culture, Diplomatic Representation, judgeship, Security and Defense in the Kingdom of Saudi Arabia

(1953-1926)

(Culture, judgeship, Army)

Prof. Dr. Sabri Falih Al-Hamdi

Sabrifalih@yahoo.com

College of Edition / History Department

Al-Mustansirya University

ملخص البحث

يتناول البحث حركة التحديث في مجالات الثقافة، الدبلوماسي، فضلا عن القضاء وامور الامن والدفاع، التي حرص ابن سعود على احداث تطور في مسارها لتتناسب مع تغيير الحياة وتبدل اساليب الحياة والافادة من ادخال المبتكرات العلمية في تلك المجالات لنقلها الى وضع افضل لكي تنهض الدولة السعودية، وتبنى على اسس راسخة في تلك الميادين التي تعد من مرتكزات الدولة الحديثة.

Abstract

The research explains the modernization in the cultural, diplomatic fields, in the addition to judgeship, security & defense, which Ibn Saud was determined to develop to cope with life advancements and the change in life style and making advantage of them by merging these scientific innovations into those fields to take them to the next level to take the statehood to the next level, and being built on indestructible bases in the those fields that make the anchors of the modern state.

1-الجانب الثقافي:

لم يشهد الحجاز نشاطا ثقافيا ملحوظا قبل انضمامه الى امارة نجد والاحساء عام 1924 رغم كونه محط رجال المسلمين كل عام من جميع بلدان العالم، وفيه من العلماء الاجلاء والشعراء الفحول وذوي الاختصاصات في مجالات معرفية كثيرة، لكن الحجاز يخلو من المنشورات المهمة، او المجلات العلمية والصحف الاخبارية، او المطابع الحديثة غير جريدة (القبلة) التي كانت لسان (حكومة الحجاز) الرسمية، وذات مطبعة قديمة لا تصلح ان تكون شيئا يعتمد عليه في نشر الصحف او الكتب، مما كان دافعا لمملكة الحجاز ونجد وملحقاتها ان تأخذ بايدي هؤلاء المثقفين والعلماء وتشد من ازرهم، فظهر الكثير منهم علماء وادباء وشعراء ، وضعوا المؤلفات القيمة وطبعوها كما كتبوا في الصحف والمجلات[1].

ومما ساعد على انتشار الثقافة بين افراد المجتمع السعودي وتطورها هو في تخصيص الحكومة السعودية جزءً من واردات النفط المالية في دعم اوجه النشاط الثقافي في اربعينيات القرن العشرين، من ذلك ان ابن سعود وتشجيعا منه للمعرفة بألوانها المتعددة، اخذ يطبع الكثير من الكتب العلمية، خاصة كتب التفسير والحديث والفقه ويوزعها على الناس بغير ثمن، مع التذكير بوجود (5) مطابع قديمة فقط قبل دخولها في مملكة نجد والاحساء، لكن صدور اول نظام للمطابع والمطبوعات كان عام 1929 فشجع على انشاء مطابع جديدة، التي كانت الحكومة السعودية تعفيها من الضرائب على الورق والمكائن المستوردة[2].

ولما كانت المطابع من اهم الوسائل التي تقوم عليها دعامة نشر العلم وتعميمه، فقد تم جلب مطالع لمختلف المدن واستقدم لها المنضدين، كما جلب انواع الورق والمعدات اللازمة، ومن تلك المطابع الحديثة، مطبعة الحكومة في مكة المكرمة، وهي من احدث ماكينات الطباعة، تحتوي على معمل للزنكوغراف للصور وعمل الكلايش للعناوين وغير ذلك ، فضلا عن انشاء شركة للطبع والنشر في مكة

المكرمة، واستيراد مطبعة لتسهيل طبع المؤلفات والكتب، بعد ان كانوا يطبعونها في مصر وسوريا، وفي عام 1953 تألفت شركة اخرى للطباعة والنشر اتخذت لها بناية كبيرة في جدة، جلبت لها مطابع من المانيا، وهي متشكلة من (48) آلة بعضها للطبع وبعضها للجمع، وبعضها للتسطير والتذهيب والتجليد والقطع والطبع البارز والحفر بالزنكوغراف، وآلات للتصوير والطبع والتحميض[3].

اما الصحافة فنلاحظ وجود عدد من الصحف بالحجاز في سنوات الحكم العثماني والهاشمي، تمثل نشأة الصحافة هناك، وابتداءً من كانون الاول 1924 بدأ صدور جريدة اسبوعية شبه رسمية هي (ام القرى) بعد ان توقفت جريدة القبلة–الآنفة الذكر– عن الصدور وهي المرجع الاساسي للبلاغات الحكومية الرسمية، والتي قامت بنشر اخبار تنقلات الملك وخطبه ونصوص المعاهدات والاتفاقيات التي تعقد مع الدول الاجنبية، وهي جريدة اسبوعية عدد صفحاتها اربع، ولكنها تصدر بثماني صفحات او اثنتي عشر صفحة في بعض المناسبات ، واخبار الحياة الادبية، وبمرور الزمن تقلص حجم الجريدة واقتصرت على البلاغات والاعلانات الرسمية[4]، وشهد عام 1928 صدور مجلة الاصلاح التي تتناول مقالاتها الامور والقضايا الدينية وفي عام 1932 صدرت في مكة المكرمة جريدة (صوت الحجاز) الاهلية، وهي تصدر ثلاث مرات في الاسبوع ، وقد استبدلت اسمها في عام 1945 فاصبحت (البلاد السعودية) وهي من اكثر الصحف قبولا لدى القراء حينذاك، وفي عام 1953 اخذت تصدر يوميا، وهي تعلق على الحوادث اليومية عن طريق تبويب المواد وتنسيقها، كما صدرت عام 1945 جريدة في المدينة باسم (المدينة المنورة) فضلا عن صدور مجلات شهرية لكل منها طابعها الخاص وهي:

-مجلة الحج: تصدرها ادارة الحج في مكة صدر العدد الاول منها عام 1947، وتعني عناية خاصة بكل ما يتعلق بالحج والحجاج، وتحتوي على اهم المواضيع الثقافية والاجتماعية ونشر الثقافة الاسلامية.

-مجلة المنهل: صدرت عام 1936 وهي شهرية وتبحث في الآداب والعلوم وتتناول ضروب الانباء الداخلية.

-مجلة اليمامة: وهي ادبية علمية تصدر في الرياض، اصدر عددها الاول الشيخ حمد الجاسر عام 1953.

-مجلة الرياض الاسبوعية التي تصدر مرة في الشهر، وكان صدورها بداية عام 1953 .

- واخيرا مجلة (قافلة الزيت) التي صدر العدد الاول منها في تشرين الثاني 1953 وتمثل نشرة دورية شهرية تكونت من (12) صفحة، وتهتم بالموضوعات العامة، اضافة الى التخصصية كانت تصدرها شركة الزيت العربية الامريكية[5].

وشمل الاصلاح والتحديث في مجال الثقافة العناية بالمكتبات التي تضم المؤلفات ذات الاختصاصات المتعددة، فهناك المكتبات العامة والمكتبات المدرسية، فضلا عن المكتبات الاهلية القديمة، وقد اسست اول مكتبة عام 1947 في مدينة الظهران، احتوت على اكثر من (8200) من كتب ومجلات متنوعة الاغراض والمعارف، بعضها باللغة العربية والاخرى بالانكليزية، وفي عام 1952 انشأت مكتبة في مكة المكرمة وابقيق، وحوت على حوالي (2000) كتاب من مختلف الاختصاصات، الى جانب انشاء محطة اذاعة في مكة المكرمة عام 1949، رغم محدودية نشاطها الثقافي بداية عملها، الاقتصار في نشاطها على قراءة القرآن والبرامج الدينية، لكنها اسهمت بعد ذلك في نشر الثقافة العربية الاسلامية[6].

وعلينا ان لا نغفل البعوث السعودية الى الخارج التي هي دليل على اليقظة الفكرية والحركة العقلية وهي تدفع بالامة للازدياد من العلوم والانتهال من مناهلها المتعددة لترفع من شأنها بين الامم، وكانت المملكة في اشد الحاجة الى مختلف العلوم والفنون، لذا ارسلت اول بعثة مكونة من (14) طالبا، ومعظم هؤلاء في سنة مبكرة من العمر، وذلك في عهد الشيخ ماجد كردي عندما كان مديرا للمعارف عام 1928، منهم على سبيل المثال لا الحصر: الاستاذ عبد الله الطريقي احد افراد هذه البعثة، وقد نال شهادة الدكتوراه حول جيولوجية البلاد العربية السعودية من الولايات المتحدة ومعلوم ان معظم هذه البعثات ذات اتجاه ديني باديء الامر كانت ترسل الى الجامعة الازهرية في مصر، ولما كانت حاجة البلاد تتطلب غير ذلك من العلوم، كالطب، والكيمياء والهندسة والميكانيك، فتقرر ايفاد بعوث في مختلف هذه الاختصاصات عام 1943، وعددهم (15) طالبا التحقوا بجامعة فؤاد الاول في مختلف كلياتها[7].

وعلى اثر انتشار التعليم بشتى الطرق ومختلف الوسائل الذي لم يقتصر على فرع دون آخر، كما تزايدت اعداد المدارس الثانوية في مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة والطائف والاحساء، مع تكاثر عدد المتخرجين منها وارتفعت نسبة المبتعثين الى درجة كبيرة، لذلك تقرر فتح جامعة في المملكة عام 1950 بالاستعانة بالخبرة المصرية، وبدأت بكليتي الشريعة واللغة العربية في بداية العام الدراسي عام 1951[8].

ونتيجة لانتشار الوعي الثقافي في المملكة، ظهرت فئة متعلمة من الشباب الذين تأثروا بثقافة البلاد العربية المجاورة، عن طريق المدرسين العرب العاملين في السعودية او عن طريق ارسال البعثات الى البلاد العربية، ومن السعوديين من تأثر بثقافة الدول الغربية التي اموها لاكمال الدراسة او لاجل امور اخرى ، وكانت اول البعثات العلمية المرسلة الى مصر من شباب الحجاز، لان الاخير يعد من الاقاليم

الاكثر تطورا عن غيره من اقاليم الجزيرة العربية، الامر الذي ساعد في تسلم الحجازيين مراكز رئيسة في شؤون التعليم والصحافة في البلاد[9].

2-التمثيل الدبلوماسي والقضاء:

كانت موضوعات العلاقات الخارجية والتمثيل الدبلوماسي قبل انضمام الحجاز لامارة نجد في عامي (1924-1925)، تدار من ابن سعود الذي يقوم باعمالها، وهو الذي يراسل الحكومات ويتلقى اجوبتها، وهو المشرف على جميع الشؤون الخارجية العائدة لبلاده ، وبعد هذا التاريخ، بدأت المباشرة في تنظيم العلاقات بين المملكة والبلدان الاخرى على اساس المصالح المشتركة او على قواعد المعاملة بالمثل، مع الاشارة الى وجود بضع قنصليات في الحجاز لشؤون الحج ومآرب اخرى، فضلا عن عدد غير محدود من اشخاص مبعثرين في طول البلاد وعرضها (اجانب) يحملون القابا مختلفة، لكن ليست لاحد منهم صفة التمثيل الرسمي المتعارف عليه دوليا[10].

وفي عام 1926 تأسست على اثر فتح جدة مديرية الشؤون الخارجية، وعين د. عبد الله الدملوجي[11] مديرا لها، وتبع ذلك نشأت وزارة خارجية المملكة نشوءً تدريجيا متناسبا مع تطور العلاقات بالدول الاجنبية وتكاثر اعمالها، ولكنها لم تأخذ شكلا واضحا في انفصالها وارتباطها وتشكيلاتها، الا بعد اعلان قيام مملكة الحجاز ونجد وملحقاتها، وتبع ذلك صدور امر ملكي عام 1930 يقضي بتحويل مديرية الشؤون الخارجية الى وزارة، وتعيين الامير فيصل بن عبد العزيز وزيرا لها،وهي اول وزارة استحدثت في الحكومة بصفة رسمية[12].

مقابل ذلك حصل اعتراف بعض الدول على نيل ابن سعود لقبه الرسمي ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها في 8 كانون الاول 1926، ثم لقب ملك الحجاز

ونجد وملحقاتها في بداية كانون الثاني 1927 ، وكانت اول مفوضية اسست للمملكة في الخارج هي مفوضيتها في لندن عام 1931، تلتها المفوضية في بغداد 1934، ثم قنصلية سعودية في دمشق عام 1934، وبعدها افتتحت مفوضية اخرى في القاهرة عام 1937، وفي خلال العشر سنوات التي تلت تأسيس وزارة الخارجية عام 1930، لم يتم انشاء ممثليات لها خارج المملكة، بالاضافة الى الممثليات التي اسستها مديرية الشؤون الخارجية سوى واحدة، وكان ذلك عندما تعين الشيخ عبد العزيز الكحيمي قنصلا في مدينة القدس[13].

ونظرا لاتساع نفوذ الاسرة السعودية في الجزيرة العربية وتنامي حالة الاستقرار في ربوعها، فقد تطور التمثيل الدبلوماسي العربي والاجنبي مع المملكة، واستنادا على ما ذكره فؤاد حمزة –وهو من العاملين في السلك الدبلوماسي حينذاك– فان دولا مثل هولندا وفرنسا وتركيا وروسيا وايران وقبلها بريطانيا ، اقدمت على رفع درجة تمثيلها الى مفوضية في 21 كانون الاول عام 1929 وعينت لتمثيلها وزراء مفوضين، او قائمين بالاعمال، واول وزير مفوض قدم اوراق اعتماده بتلك الصيغة هو الوزير المفوض السوفيتي (نذيربك توركول)وذلك في 26 شباط 1930[14].

من جانب آخر حظيَّ القضاء[15] باجراءات كان من شأنها اصلاحه، وشمل امور ذات جوانب اقتصادية، فقد اسس عام 1926 المجلس التجاري المؤلف من رئيس وخمسة اعضاء من ذوي الخبرة في الشؤون التجارية وهو ما يعرف بالقضاء التجاري، للنظر في المنازعات التي تقع بين التجار والصيارفة والوكلاء واصحاب الحوانيت، والبت في القضايا المتعلقة بتصريف العملة ودفع الحسابات التجارية عبر البنوك، فضلا عن المنازعات بين التجار واصحاب السفن في حالة فقدان الامتعة او اصطدام السفن او تعرضها للهجوم، وفي الخلافات الناشئة عن تحرير العقود او

اتفاقات الاسعار، وفيما بعد اخذت هذه المحكمة تعمل وفق نظام التجارة لعام 1931، واستثنيت منه القضايا الخاضعة لاحكام الشرع[16].

شهد عام 1927 تأسيس ثلاثة انواع من المحاكم، المحاكم المستعجلة المؤلفة من قاض واحد، واختصاصها النظر في القضايا المدنية التي لا يتجاوز المطلوب فيها (30) جنيها استرلينيا ، وفي قضايا الجنح والجنايات التي لا تصل الى حد القطع او القتل ، وهناك المحاكم الكبرى : وتضم قاضيا ونائبين له، وهي تنظر في القضايا التي لا تدخل ضمن اختصاص المحاكم المستعجلة، بما فيها الجرائم التي تستوجب القطع او القتل، ولكن لابد من صدور اجماع كل القضاة عند اصدار قرار بهذا الشأن، ثم الثالثة وهي هيئة المراقبة القضائية في مكة المكرمة، وهي بمثابة محاكم استئناف، تتألف من مدير واربعة اعضاء وتولي المدير الاشراف على سائر المحاكم والقضاة في الحجاز، وهو بمثابة وسيط بين الحكومة والمحاكم وتكتسب الاحكام درجتها القطعية عند تأييدها من قبل الهيئة خلال عشرين يوما، اما الاحكام التي تنقضها الهيئة فتعاد الى المحاكم التي اصدرتها لاعادة النظر فيها، وفي عام 1938تحولت هيئة المراقبة القضائية العامة الى هيئة التدقيقات الشرعية برئاسة رئيس القضاة وتشبه الهيئة التمييزية، كما اسست في الحجاز عام 1927 اول دوائر كتاب العدل التي تتولى تسجيل الوظائف القانونية باستثناء ما يتعلق بالارث، مما يدلل على حدوث تطور في دوائر القضاء واتساع مؤسساته وتنوع اختصاصاتها على وفق حاجات المجتمع السعودي، خاصة بعد تزايد واردات النفط عقب تصديره الى الخارج والحصول على عوائد مالية، وفي عام 1945 اعلن عن تشريع نظام كتاب العدل الذي نظم اعمال تلك الدوائر[17].

3-الامن والدفاع:

كان لابد لابن سعود بعد تمكنه من توحيد الكثير من القبائل العربية في جزيرة العرب ان يعمل باتجاه بناء الاسس والمرتكزات لاقامة دولته لمواجهة المخاطر الخارجية والحفاظ على الاستقرار الداخلي في بلاد واسعة المساحة، عن طريق بناء جيش وقوى امن داخلي تمتلك معدات دفاعية وهجومية لتستطيع بذلك تحقق اهدافها في توفير الامن للمواطنين والحيلولة دون تفكك الدولة السعودية.

حصل تقدم في ادخال وسائل الامن الحديثة الى المملكة بناء على مقتضيات امن البلاد كذلك تاسست عام 1925 ادارة الامن العام في مكة المكرمة عرفت فيما بعد بـ"مديرية الشرطة العامة، كما شكلت شرطة حماية الاخلاق وشعب التفتيش والمحاسبة ومراقبة الاجانب، واصبحت هذه المديرية مسؤولة عن حفظ النظام واستقراره في المملكة[18].

واصبح لهذه المديرية اقسام ادارية وهي:

مكتب الادارة العامة، وشعبة التفتيش العام، ومكتب مراقبة الاجانب، والجوازات والجنسية، وقلم المرور، وشعبة التجنيد، والمجلس التأديبي العام، وشعبة مستودعات الامن العام، وشعبة المحاسبة، وايضا تكونت ادارات للشرطة في اهم المدن والمقاطعات، واهمها مديرية شرطة مكة المكرمة ، ومديرية شرطة المنطقة الشرقية (الاحساء).

اما مديرية شرطة مكة فتتألف من:

أ-القسم العدلي، ويختص بالتحقيق في الحوادث الجنائية وضبط المجرمين ويرتبط به قلم السواق.

ب–القسم الاداري: ومهمته تنفيذ الاحكام الشرعية والاوامر الادارية وترتيب الدوريات للحراسة العامة.

ج–القسم المركزي: ويقوم بتدريب الجنود والاشراف على شؤونهم[19].

وتشير المصادر التاريخية الى ان هذا التوسع في ادارة الشرطة قد تم عام 1930 بعد ان تولى شؤونها مهدي بك القلعي (1930–1949) بمدة وجيزة، اذ كانت منحصرة في مدن: مكة المكرمة، جدة، غير ان جهود مديرها واتقان خدماتها اكسبها شكلا ناجحا، فقد انتشرت في الرياض والطائف وينبع وابها ونجران والحسا وظهران والوجه ورابغ وتبوك[20]، وفي عام 1938 حولت مديرية الشرطة العامة الى مديرية للامن ، وخلال السنوات (1938–1953) حصل تطور في استحداث مراكز للشرطة في مدن سعودية عدة، اذ تم انشاء مدرسة للشرطة في الاحساء يدرس طلابها العلوم الحديثة في مكافحة الجريمة[21]، ثم معرفة الجناة عن طريق الوسائل العلمية الحديثة التي تم التدريب عليها منذ عام 1950[22].

ولاجل لان تجري عملية التحديث في تشكيلات الامن بشكل يوازي التغيير الحاصل في المجتمع، كان لابد من الافادة في ارسال البعثات الى الخارج لاكتساب الخبرة والاطلاع على مسار التطور في تلك البلدان، وبغية اعداد رجال فنيين ومتخصصين في اعمال الشرطة، ومن ذلك البعثات التي يتم اختيار اعضاءها من خريجي المدارس الثانوية في المملكة، وتتولى ادارة الامن بارسالهم الى كلية الشرطة في مصر، ليعودوا الى بلادهم، وقد تزودوا بالخبرة والاختصاص في مختلف شؤون الامن، ومنها التخصص بحركة المرور، فضلا عن الفنيين الذين استقدمتهم من خيرة الضباط الاكفاء من مصر، والمختصين في جميع الاختصاصات التي تتطلبها تشكيلات الشرطة العصرية، ولم تقتصر الاجراءات السعودية على تلك الخطوات، بل تم في عام 1937 تأسيس مدرسة للشرطة، جعل لها منهاج خاص لاعداد ضباط

اكفاء يدرسون في المدرسة المذكورة، ويتعلمون فيها علوما مختلفة، كاللغة العربية والمسائل الادارية، والانظمة المحلية والمباحث الجنائية والطب الشرعي والتمارين العسكرية، بما فيها فن الرماية والفروسية والتدريب على قيادة السيارات والدراجات البخارية وفن طبع الاصابع، يقوم بالتدريسيات فيها اخصائيون انتدب اكثرهم من مصر عام 1951، وتقبل مدرسة الشرطة بمكة المكرمة حملة الشهادات الابتدائية والثانوية، وفد تخرج منها عدد كبير من الطلاب تدرجوا في وظائفهم حتى شغلوا وظائف مهمة في مديرية الامن العام وشعباتها، ولا تزال هذه المدرسة تتقدم والمتخرجون منها يزداد عددهم عاما بعد آخر[23].

واذا تناولنا الجيش فعلينا التذكير في اعتماد امارة نجد منذ بداية تسلمها شؤون الاخيرة وتخليص الرياض من حكم آل الرشيد امراء حائل عام 1902 على جيش الجهاد، الذي كان مكونا من حاضرة اهل نجد، فضلا عن جيش الاخوان[24]، الذي كان مؤلفا من افراد القبائل البدوية الرحالة التي شكل لها نظام الهجر، وهم على ثلاثة صفوف: الهجانة والخيالة والمشاة، وكان سلاحهم الذي يستعملونه قبل ادخال التشكيلات العسكرية الحديثة الى صفوفهم، مقتصرا على البنادق والسيوف والخناجر والرماح، ويضيف إليها امين الريحاني المدفعية والرشاشات وكمية وافرة من الذخيرة[25]، لكنه سرعان ما تطور بعد القضاء على امارة حائل[26] عام 1926والاستيلاء على معداتهم العسكرية من مدفعية وبنادق ورشاشات واضيفت لها المعدات العسكرية التي عثر عليها في الحجاز عامي 1924–1925[27].

اما بشأن فكرة تأسيس الجيش كجيش نظامي فقد راودت ابن سعود ابان الحرب العالمية الاولى، حيث شاهد القوات البريطانية بالعراق في اثناء حملتها العسكرية لاحتلاله، فضلا عن محاربته القوات العثمانية في الاحساء عام 1913، الامر الذي عدت عوامل مشجعة لاصلاح الجيش ومبقيا على القوات النظامية التي

اعلنت الولاء للحكم السعودي بعد دخول الحجاز، وهي عبارة عن وحدات من الرشاش والمدفعية والمشاة ، بينما لازالت قوات الجهاد والاخوان هي القوة التي لازال لها الدور الكبير في المملكة[28]، وجاءت الفرصة المناسبة عقب دخول الحجاز واتساع املاك دولته من الخليج العربي حتى البحر الاحمر، ومن حدود اليمن جنوبا الى حدود العراق والاردن شمالا، حتى شرع في التحديث لمرافق هذه الدولة المترامية الاطراف التي تفتقر الى معظم وسائل الحياة الحديثة عن طريق العلم والتثقيف، ولما كانت البلاد واسعة الاصقاع مترامية الاطراف فان هاجس الدفاع عنها كان امرا ضروريا، لهذا بدأ ابن سعود في تكوين جيش يأخذ من الاساليب الحديثة له منهجا من حيث التسليح والتنظيم والتدريب، لاجل فرض الامن في ربوع الجزيرة العربية، وتسهيل امر الحج للمسلمين بتوفير السلامة لهم، الذين كانوا يأتون من بلدان عربية ومسلمة[29].

وبعد قضاءه على حركة الاخوان المعارضة التي اثارت المتاعب امام الاسرة السعودية في محاولاتها تثبيت اوضاع البلاد الداخلية ودخول ابن سعود في معارك مستمرة ضد جيش الاخوان (1928–1930)التفت ابن سعود الى اهمية ادخال الاصلاحات في مختلف نواحي الحياة والعمل على تطوير مؤسسة الجيش[30] لاهميتها المعروفة وتكون لها الافضلية في سلم التغيير ووجوب مجاراة التطور في انظمة الجيوش الحديثة، فضلا عن ظروف اخرى اوردها فوزي القاوقجي[31] الذي عمل مستشارا عسكريا لابن سعود خلال السنوات (1928–1932) على النحو الآتي:" كانت احتياجات الدولة والبلاد تدفع اثمانها من موارد الحج، وقد اخذ يتناقص هذا المورد ويضأل لدرجة انه لم يتجاوز في عام 1931 المائتي الف دولار، وتناقصت اعطاءات الملك للقبائل والرؤوساء ، مع تناقص الواردات، وكانت هذه الاعطاءات مصدرا للمعيشة للبعض، وضمانا لاستكانة الآخرين، واخذت القبائل

تطالب بمخصصاتها بالحاح، واتخذت الاخرى مواقف اثارت الريبة والمخاوف في نفس الملك وراجت فكرة تاسيس جيش نظامي تحت هذه العوامل والظروف ، وذلك ليكون الجيش سببا في اعالة كثير من النجديين، فتقرر ان يعهد الى نبيه العظمة تأليف هذا الجيش وان اكون معاونا له، فأخذنا نضع منهاجا مفصلا، واوردناه بتقرير شامل قدمناهما لنائب الملك الامير فيصل وطلبنا ان نقوم بجولة تفتيش لفحص ماهو موجود في المستودعات من الاسلحة والعتاد والتجهيزات ، فوافق النائب على هذه الفكرة..."[32].

وعلى الجانب الآخر استمر التأكيد على ضرورة امتلاك احدث المخترعات العلمية وادخالها في المملكة ، فقد اشترى ابن سعود في ايلول 1930 (4) طائرات من بريطانيا شكلت نواة سلاح الطيران، وفي العام التالي ارسل (10)شبان سعوديون الى بريطانيا لتعلم الطيران وقيادة الطائرات ، فيما شهد عام 1935 افتتاح مدرسة عسكرية في الطائف، ثم صدر الامر الملكي ذي الرقم 3/20/ 26 المؤرخ في 5 ايلول 1936 المتضمن تأسيس وكالة الدفاع، وعين على رأسها الشيخ عبد الله بن سليمان، اضافة الى عمله كوزير للمالية، فتم تشكيل الاسلحة، سلاح الفرسان، سلاح المشاة، سلاح المدفعية، وجاءت كل هذه الاجراءات تلبية لمتطلبات تطوير الجيش وتنظيمه والعمل على تقدمه[33].

وفي صيف عام 1938 اعلنت السلطات السعودية عن خطة لتحديث الجيش، حيث تم في عام 1940 الغاء مديرية الامور العسكرية وتشكيل رئاسة الاركان الحربية، وتم تعيين طارق الطرابلسي (الافريقي) رئيسا لهيئة الاركان، الذي اصبح يشرف على بناء الجيش، وتبع ذلك وصول مدربين عراقيين بهذا الشأن، فيما اشترت المملكة اسلحة ومعدات، لاسيما العربات التي تحمل رشاشات متوسطة، واخرى تحمل مدافع صغيرة، وفي اثناء الحرب العالمية الثانية اشترت المملكة (5)

طائرات امريكية من طراز (داكوتا) وبدأت اولى رحلاتها الجوية داخل الاراضي السعودية، ثم الى مصر وسوريا ولبنان[34].

وفي مجال التعاون السعودي– الامريكي ودوره في ادخال المعدات العسكرية الحديثة لاستخدامها في الجيش السعودي، فقد وصلت بعثة عسكرية امريكية في 11 تشرين الاول 1943 برئاسة الجنرال رالف رويسRalph Rayce) القائد العام للقوات الامريكية في الشرق الاوسط ردا على زيارة وفد سعودي برئاسة الامير فيصل للولايات المتحدة في ايلول 1943 بدعوة من الرئيس الامريكي روزفلت (1882–1945) حيث قدم طلبا بتزويد بلاده بمعدات عسكرية وفنيين امريكيين لتدريب الجيش السعودي، لدراسة احتياجات المملكة وفي 22 نيسان 1944وصلت اول بعثة تدريب برئاسة الكولونيل كاريت شومير Gerret B. Shomber) مؤلفة من (12) عسكريا لتدريب السعوديين على استخدام المعدات الحديثة، على ان ينتهي عملها في الاول من كانون الثاني 1945، غير ان مهمتها استمرت حتى السادس من ايار 1945[35].

مقابل ذلك جرت تغييرات في هيكل الادارة العسكرية، ففي عام 1944 تحولت وكالة الدفاع الى وزارة الدفاع، تولاها الامير منصور بن عبد العزيز، مما يشير الى اتساع المهام الدفاعية للجيش السعودي على امتداد اراضي المملكة الواسعة النطاق، وتطورت العلاقات السعودية –الامريكية على اثر توقيع اتفاقية جدة في 18 حزيران 1951 مدد بموجبها استئجار قاعدة الظهران الجوية للسنوات الخمس التالية لذلك التاريخ ونصت على شراء السعوديين معدات عسكرية اخرى وتدريب السعوديين من قبل مدربين امريكيين[36].

مقابل ذلك استعانت المملكة لتدريب جيشها ببريطانيا، اذ وصلت مدينة الطائف اول بعثة عسكرية بريطانية تحت قيادة ضابط برتبة عميد، فضلا عن ضباط

آخرين فافتتحت المدرسة العسكرية في الطائف لتخريج ضباط للجيش برتبة ملازم ثان، وتم انشاء مدرسة ابتدائية عسكرية للايتام في الطائف من اجل تزويد المدرسة العسكرية بطلابها المتخرجين، كما عملت البعثة البريطانية على تشكيل اول فوج كامل ومنظم للمشاة في البلاد السعودية، وفي عام 1952 انهت البعثة البريطانية اعمالها بعد مرور ستة اعوام على وجودها في المملكة[37].

وعلى اثر وفاة الامير منصور وزير الدفاع عام 1951 خلفه اخوه الامير مشعل ، الذي كلف بعثة عسكرية مصرية بمهمة تدريب القوات المسلحة في الطائف، كما وصلت بعثة امريكية اخرى الى المملكة بعد انتهاء اعمال البعثة البريطانية عام 1952، وقامت بادخال النظام الامريكي بدلا من النظام الانكليزي، وترتب على ذلك اجراء تغييرات في التسليح فاصبحت الولايات المتحدة مصدرا رئيسا للتسليح، واثمرت اعمالها في تشكيل اول لواء عسكري هو اللواء الثامن عام 1953، فضلا عن الاتفاق مع الحكومة الفرنسية على انشاء مصنع للذخيرة والسلاح بالقرب من الرياض في العام نفسه[38].

اما البعثات العسكرية فتم من خلالها ارسال ابناء المملكة المتفوقين الى الخارج للتخصص في مختلف اسلحة الجيش من الآلات الحديثة والفنون الجديدة، الى كلية (ساندهيرست) البريطانية عام 1948، فضلا عن آخرين ارسلوا للتعلم على الطيران في ايطاليا ومصر، وبعثات الى الولايات المتحدة للتخصص والتمرن على اعمال الانقاذ في الطائرات، ودراسة علوم الانواء الجوية المختصة بفن الطيران هناك، وغير ذلك من الامور التي تتعلق بفروع الطيران ومستلزماتها المختلفة، وقد بلغ عدد الاعضاء الذين تدربوا على مختلف اسلحة الجيش المصري الى كلية الحربية، وكلية الطيران وكلية البحرية وكليتي الطب والهندسة في الجامعات المصرية

وحدها اواخر عام 1953 (240) عضوا، حيث تخرج منهم عدد كبير شغل قسم منهم مراكز قيادية في فروع الجيش والطيران والبحرية[39].

وبما ان قوة الامة في جيشها، لاسيما في مملكة تمتد اراضيها الى مناطق واسعة من الجزيرة العربية، فقد اولى المسؤولون هناك هذه الناحية اقصى ما يمكن لتكوين جيش عصري مدرب، فارسلت الوفود الى الخارج للتحصيل في اكاديميات البلدان المعروفة، كما تم شراء السلاح الحديث، لذلك ظهرت تشكيلات من الجيش متعددة، فتأسست الفرقة الآلية التي تتكون من دبابات في حجومها المختلفة والمصفحات وما اليها ، فضلا عن قوة الطيران وتأسست الفرقة الهندسية المزودة باحدث الآلات المستعملة لغرض القيام بخدمات الجيوش، كاقامة الجسور وزرع الاسيجة، وغير ذلك وحتى ان الحكومة السعودية اخذت تشتري معامل الاسلحة التي تمد الجيش السعودي بما يحتاجه من العتاد الخفيف والثقيل اللازمة لصنوف جيشها[40].

من جانب آخر شهد عام 1949 تاسيس اول مدرسة للطيران العسكري ضمن المدرسة العسكرية في مدينة الطائف، مع التدريب على ثلاث طائرات من نوع (منايكوروت) وذلك لتزايد حاجة البلاد الى قوة جوية دفاعية بعد ازدياد عائدات النفط المالية في اربعينيات القرن العشرين، كما قامت وزارة الدفاع بارسال بعثة الى بريطانيا تكونت من مجموعتين تفصل بينهما سبعة اشهر وتتكون كل منها من عشرة اشخاص، ولم تؤسس في المملكة مدرسة مستقلة للطيران العسكري الا بحلول عام 1953 حينما تم انشاء مدرسة الطيران العسكرية في مدينة جدة، كما تم تأسيس اول سرب للقوة الجوية في العام نفسه[41].

يتضح لنا من عرض الصفحات السابقة كيف تم اعطاء الامن الداخلي والدفاع الاهمية في سياسة التحديث التي شهدتها المملكة، وقد تم عرض نماذج من

ذلك التطور لخصوصية هذه الامور في امن الدول، تجنبا في الانغماس بجوانب نالها التحديث، وهي موضوعات ربما يكون الخوض في تفاصيلها مخلا بامن الشعوب والدول، لذا ارتأينا ان نغطي صورة ملخصة في هذا المضمار للاعتبارات المذكورة، اضافة الى قلة المعلومات الموجودة في المصادر التاريخية التي احتفظت بجزء يسير من القضايا الامنية والدفاعية للمملكة، وهذا الامر الذي انعكس في قلة صفحات هذا الفصل.

الهوامش

1 – عبد المنعم الغلامي، الملك الراشد المغفور له عبد العزيز آل سعود، مطبعة المعارف، بغداد، 1954، ص303.

2 – محمد عبد الله ماضي، النهضات الحديثة في جزيرة العرب في المملكة العربية السعودية، ط2، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، 1952، ص329.

3– لمزيد من التفاصيل انظر: عبد المنعم الغلامي، المصدر السابق، ص304.

4 – اليكسي فاسيلييف، تاريخ العربية السعودية ، ط3، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 2010، ص410.

5 – عبد المنعم الغلامي، المصدر السابق، ص303–305.

6 – طالب فرهود كريم الكناني، شركة ارامكو واثرها في تحديث المملكة العربية السعودية وتطورها 1944–1980، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة ذي قار، 2009، ص129.

7 – عبد الرزاق خلف خميس الزيدي، التطورات الداخلية في المملكة العربية السعودية 1932–1953، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية/ ابن رشد، جامعة بغداد، 1989، ص203.

8– صالح جمال الحريري، من وحي البعثات السعودية، مطبعة دار الكتاب العربي، القاهرة، 1949، ص7.

9 – المصدر نفسه، ص7–8.

10 – خير الدين الزركلي، شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، جـ1، مطابع دار العلم، بيروت،1970، ص381–382.

11 – عبد الله الدملوجي (1915–1928) ولد في الموصل عام 1890 ، درس في بلده، ثم في الاعدادية العسكرية انتقل عام 1906 الى استانبول فانتمى إلى كلية حيدر باشا الطبية وتخرج طبيبا عام 1913، والحق بالجيش برتبة بوزباشي (رائد) اشترك بحرب البلقان طبيبا عسكريا في ساحة بلغاريا ثم عاد الى اسطنبول ، حيث عمل في مستشفى كلخانة التطبيقي، كما شارك في الجمعيات السياسية العربية، ثم ذهب الى البصرة ثم غادرها الى السعودية بعدها عاد الى البصرة . صبري فالح الحمدي، عبد الله الدملوجي والسياسة الخارجية السعودية(1915–1928)، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد 15، السنة 2009، ص28–29.

12 – فؤاد حمزة، البلاد العربية السعودية، مطبعة ام القرى، 1355، ص114و 117.

13 – محمد عمر مدني، التمثيل الدبلوماسي الدائم الايجابي والسلبي للمملكة العربية السعودية مع الدول الاخرى، ط2، معهد الدراسات الدبلوماسية ، جدة، 1405هـ/1984م، ص21.

14 – صبري فالح الحمدي، المستشارون العرب والسياسة الخارجية السعودية خلال حكم الملك عبد العزيز بن سعود 1915–1953، دار الحكمة ، لندن، 2011، ص28–29.

15 – لم يكن في المملكة وجود لنظام قضائي قبل الاصلاح والتحديث، اذ كانت تحل المنازعات والخلافات بين الناس من قبل شيوخ القبائل على وفق الاعراف السائدة في مجتمع الخليج والجزيرة العربية. سعود بن سعد آل دريب، التنظيم القضائي في المملكة العربية السعودية، مطابع حنيفة، الرياض، 1983، ص304.

16 – اليكسي فايلييف، المصدر السابق، ص399.

17 – اليكسي فاسيلييف، المصدر السابق، ص398.

18 – نظرا لحساسية جانب الامن والدفاع حرص الباحث على الاتيان ببعض النصوص التاريخية ذات الصلة بالموضوع وبشكل موجز .

19– اليكسي فاسيلييف ، المصدر السابق، ص220.

20 – عبد المنعم الغلامي، المصدر السابق، ص213.

21 – فؤاد حمزة ، المصدر السابق، ص220.

22 – رابح لطفي جمعة، حالة الامن في عهد الملك عبد العزيز، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، 1982، ص214–215.

23– عبد المنعم الغلامي، المصدر السابق، ص215–216.

24 – لمزيد من التفاصيل عن حركة وجيش الاخوان ينظر: صادق حسن السوداني، جيش الاخوان جيش ابن سعود غير النظامي، مجلة الخليج العربي، العدد العاشر، مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، 1978.

25– امين الريحاني، تاريخ نجد الحديث وملحقاته، ط2، دار ريحاني للطباعة والنشر، بيروت، 1954، ص43.

26– ينظر عن امارة حائل: جبار يحيى عبيد، التاريخ السياسي لامارة حائل 1835–1921، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2003.

27 – الويس موزل، تاريخ الدولة السعودية، مجلة العرب، الرياض، جـ3–4، رمضان وشوال 1396هـ/ايلول –تشرين الاول 1976م، ص281.

28 – صبري فالح الحمدي، فوزي القاوقجي مستشارا عسكريا للملك عبد العزيز 1928–1932، بحوث المؤتمر العلمي الثامن عشر لكلية التربية، الجامعة المستنصرية(20–21 نيسان 2011)، ص714.

29 – عقيل بن ضيف الله القويعي، تحديث القوة العسكرية في عهد الملك عبد العزيز، مجلة الدارة ، العدد الرابع، السنة الحادية عشرة، رجب 1406هـ1986م، ص160.

30 – بعد استسلام جدة عام 1925 عرض الملك على ضباط الجيش الهاشمي الانتقال الى الخدمة بالجيش النجدي، فعين عدد منهم في شرطة مكة المكرمة اولا، ثم اخذ يشكل من بينهم اول الوحدات النظامية مستقدما ضباطا من سوريا والعراق

للعمل في الدائرة العسكرية وشهد عام 1930 اول استعراض عسكري شارك فيه ثلاثة افواج من: المدفعية والرشاشات والمشاة، ثم نظم الجيش على شكل كتائب وألوية وزعت على خمس مناطق عسكرية، وتم توحيد الزي العسكري وشارات الرتب، اليكسي فاسيلييف، المصدر السابق، ص407.

31 – فوزي القاوقجي: ولد فوزي الدين عبد المجيد في طرابلس السورية عام 1890، تخرج ضابطا من المدرسة الحربية في استانبول عام 1912، حمل راية الكفاح العربي للتخلص من السيطرة الاجنبية خلال الحرب العالمية الاولى، انتمى الى جمعية العهد، بعدها عين ضابطا بالجيش العربي للحكومة العربية في سوريا بزعامة الامير فيصل بن الحسين عام 1918، شارك في الثورة السورية الكبرى (1925–1927) ضد قوات الاحتلال الفرنسي، وبعد فشلها صدر عليه حكم بالاعدام فهرب الى الحجاز بسبب مطاردة القوات الفرنسية له على اثر اجباره على مغادرة تركيا بضغط من بريطانيا وفرنسا حتى وصل الى جدة. للمزيد من تفاصيل عن اخباره دخوله الحجاز ولقاءه فيصل بن عبد العزيز نائب الملك هناك ينظر: بيداء محمود احمد سويلم، فوزي القاوقجي ودوره في القضايا القومية 1890–1948، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية/ابن رشد، جامعة بغداد، 1990، ص6–42.

32 – مذكرات فوزي القاوقجي 1914–1932، جـ1، اعداد خيرية قاسمية، دار القدس، بيروت، 1975، ص125–126.

33 – عقيل بن ضيف الله القويعي، المصدر السابق، ص166.

34- Records of Saudi Arabia , 1902-1960, Vol.7, Edited by Penelop Tuson, London, 1973,P.343-344.

35 – علي عظم محمد عباس الكردي، العلاقات السعودية –الامريكية 1945–1953، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، 1997، ص39–40.

36– عقيل بن ضيف الله القوبجي، المصدر السابق، ص168.

37 – عبد الرزاق خلف خميس الزيدي، المصدر السابق، ص142–143.

38 – المصدر نفسه ، ص146–147.

39– يوسف بن ابراهيم السلوم، القيادة العسكرية للقائد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، 2001، ص61–62.

40 – الحاج عبد الكريم موسى ابا الخيل المصلوخي، رجل وامة، مطبعة الرابطة للطبع والنشر، بغداد، 1958، ص117.

41 – لمزيد من التفاصيل ينظر: عبد الرزاق خلف خميس الزيدي، المصدر السابق، ص150–151.

قائمة المصادر

1–الوثائق المنشورة:

أ–الانكليزية:

- Records of Saudi Arabia , 1902-1960, Vol.7, Edited by Penelop Tuson, London, 1973.

2–المذكرات الشخصية:

–مذكرات فوزي القاوقجي 1914–1932، جـ1، اعداد خيرية قاسمية، دار القدس، بيروت، 1975.

3–الرسائل الجامعية:

– بيداء محمود احمد سويلم، فوزي القاوقجي ودوره في القضايا القومية 1890–1948، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية/ابن رشد، جامعة بغداد، 1990.

- طالب فرهود كريم الكناني، شركة ارامكو واثرها في تحديث المملكة العربية السعودية وتطورها 1944–1980، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة ذي قار، 2009.

- عبد الرزاق خليف خميس الزيدي، التطورات الداخلية في المملكة العربية السعودية 1932-1953، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية/ ابن رشد، جامعة بغداد، 1989.
- علي عظم محمد عباس الكردي، العلاقات السعودية –الامريكية 1945-1953، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، 1997.

4-الكتب العربية والمعربة:

- الحاج عبد الكريم موسى ابا الخيل المصلوخي، رجل وامة، مطبعة الرابطة للطبع والنشر، بغداد، 1958.
- اليكسي فلسيلييف، تاريخ العربية السعودية، ط3، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 2010.
- امين الريحاني، تاريخ نجد الحديث وملحقاته، ط2، دار ريحاني للطباعة والنشر، بيروت، 1954.
- جبار يحيى عبيد، التاريخ السياسي لامارة حائل 1835-1921، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2003.
- خير الدين الزركلي، شبه جزيرة العرب في عهد الملك عبد العزيز، ط1، مطبعة دار العلم، بيروت، 1970.
- رابح لطفي جمعة، حالة الامن في عهد الملك عبد العزيز، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، 1982.
- سعود بن سعد آل دريب، التنظيم القضائي في المملكة العربية السعودية، مطابع حنيفة، الرياض، 1983.
- صالح جمال الحريري، من وحي البعثات السعودية، مطبعة دار الكتاب العربي، القاهرة، 1949.
- صبري فالح الحمدي، المستشارون العرب والسياسة الخارجية السعودية خلال حكم الملك عبد العزيز بن سعود 1915-1953، دار الحكمة ، لندن، 2011.

– عبد المنعم الغلامي، الملك الراشد المغفور له عبد العزيز آل سعود، مطبعة المعارف، بغداد، 1954.

– فؤاد حمزة ، البلاد العربية السعودية، مطبعة ام القرى، 1355.

– محمد عبد الله ماضي، النهضات في جزيرة العرب في المملكة العربية السعودية، ط2، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، 1952.

– محمد عمر مدني، التمثيل الدبلوماسي الدائم الايجابي والسلبي للمملكة العربية السعودية مع الدول الاخرى، ط2، معهد الدراسات الدبلوماسية، جدة، 1405هـ/1984م.

– يوسف بن ابراهيم السلوم، القيادة العسكرية للقائد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، 2001.

5–البحوث المنشورة:

– الويس موزل، تاريخ الدولة السعودية، مجلة العرب، الرياض، جـ3–4، رمضان وشوال 1396هـ/ايلول –تشرين الاول 1976.

– صادق حسن السوداني، جيش الاخوان جيش ابن سعود غير النظامي، مجلة الخليج العربي، العدد العاشر، مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، 1978.

– صبري فالح الحمدي، عبد الله الدملوجي والسياسة الخارجية السعودية(1915–1928)، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد 15، السنة 2009.

– ـــ ، فوزي القاوقجي مستشارا عسكريا للملك عبد العزيز 1928–1932، بحوث المؤتمر العلمي الثامن عشر لكلية التربية، الجامعة المستنصرية(20–21 نيسان 2011).

– عقيل بن ضيف الله القوبعي، تحديث القوة العسكرية في عهد الملك عبد العزيز، مجلة الدارة ، العدد الرابع، السنة الحادية عشرة، رجب 1406هـ1986م.